

جمالية توظيف المصطلحات الصرفية والنحوية والعروضية في لزوميات المعري

د. سيد مهدي مسبوق*

د. علي باقر طاهري نيا**

مهدي تركاشوند***

الملخص:

شهد العصر العباسي ازدهارا واسعا في مختلف مظاهر الحياة ونشطت الحركة العلمية ووضعت مصطلحات كثيرة وجديدة في مختلف فروع المعرفة ودخلت بعض هذه المصطلحات في الأدب وجرت على اقلام الكتاب والسنة الشعراء. فمن الطبيعي ألا تخلو منها أشعار كبار الشعراء كأبي تمام والمنتبي والمعري وغيرهم. ولما كان المعري ذا موهبة غزيرة وثقافة واسعة في مختلف العلوم والمعارف فقد أكثر من استخدام هذه المصطلحات العلمية في شعره خاصة ديوانه اللزوميات، وإسرافه في توظيف هذه المصطلحات في شعره قد أثار إعجاب فئة من النقاد والدارسين كما أثار طعن فئة أخرى.

هذا والمعري قد تعرض لمصطلحات العلوم المختلفة من الصرف والنحو والعروض والفلك والكيمياء والطب وغيرها. ومن الواضح أن دراسة هذه المصطلحات في شعره تكشف عن جانب من أفكاره وآرائه كما تتم عن سعة إلمامه بهذه العلوم وغزارة أدبه، فمن ثم تتوقف هذه الورقة عند المصطلحات الصرفية والنحوية والعروضية التي استخدمها الشاعر استخداما فنيا وذوقيا لا يستوعبها المتلقى إلا بعد التأمل في الجانب الفني والتي قد استخدمه الشاعر لتصوير خوالج نفسه والتعبير عن آرائه.

الكلمات المفتاحية:

المعري، المصطلحات، الشعر، الصرف، النحو والعروض.

* استاذ مساعد في جامعة بوعلي سينا بجمدان.

** استاذ مشارك في جامعة بوعلي سينا بجمدان.

*** طالب ماجستير في اللغة العربية و آدابها.

المقدمة

هو أحمد بن عبدالله بن سليمان التتوخي الملقب بالمعري والمكنى بأبي العلاء، قد ولد في معرة النعمان سنة ٣٦٣ للهجرة وتوفي فيها سنة ٤٤٩ للهجرة .
ويبدو أنه لم يكن راضياً لا عن اسمه ولا عن كنيته، حيث أشار إلي ذلك غير مرة، منها ما قاله عن كنيته:

دُعيتُ أباالعلاء و ذلك مَينٌ ولكنّ الصحيحُ أبوالنزول^(١)

وعن اسمه الاول:

وأحمدَ سمّاني كبيرِي، وقلّما فعلتُ سوى ما أستحقُّ به الذمّا^(٢)

أصيبَ أبوالعلاء بالجدري في الرابعة من عمره فصار ضريراً لا يرى إلا الظلمة. وقد أشار إلي هذه العاهة في لزومياته اشارات كثيرة ذات لوعة وحزن، منها:

ذهابُ العينِ صانَ الجسمَ أَوَنَةً عن التطريحِ في البيدِ الأماليسِ^(٣)

مع هذا كله، وهبه الله نعمة جليلة نابت مناب عماء وهي ذاكرته القوية العجيبة التي أسعفته في التفوق على معاصريه وفي تحصيل العلوم والقراءة والكتابة واصبحت خير معين له. درس المعري علوم الأوائل من النحو واللغة والعروض والحديث على مشاهير عصره، ثم هم بالأسفار، ورحل إلى المدن الشامية كأنطاكية وطرابلس وحلب واللاذقية للإستزادة من العلم ثم ولى وجهه شطر بغداد منتجع العلماء وقبلة الأدباء في ذلك الحين. وبعد أن أروى ظمأه عبرالجولة في هذه المدن والاختلاف إلى الاوساط العلمية فيها والتعرف إلى الحضارات العريقة كحضارة الفرس والهنود واليونان عاد إلى مسقط رأسه معتزلاً للناس ومكتفياً باليسير من الطعام والكفاف من القوت مسمياً نفسه رهين المحبسين يعني حبس النفس في المنزل وحبس البصر عن الرؤية. وظل الشاعر في هذين المحبسين زهاء خمسين عاماً. ولما أنتابته الأمراض وشعر بدنوّ موته أوصى بأن يُكتب على قبره:

هذا جناه أبي عليّ وما جنيتُ على أحد^(٤)

١- لزوم، ص ٣٦

٢- نفسه، ص ٣٠٧

٣- نفسه، ص ٧٢

٤- ابن خلكان، ؟، ص ١١٥

بقي المعري في قيد الحياة حتى سنة ٤٤٩ للهجرة. ولما مات أنشد على قبره أربعة
وثمانون شاعراً مرثياً، منها أبيات لعلي بن الهمام من قصيدة طويلة في رثاء ومنها:

إن كنت لم تُرِقِ الدماء زهادةً فلقد أرقّت اليوم من جفني دما
سيرت ذكرك في البلاد كأنه مسكٌ فسامعٌ يَضْمَخُ أو فما
وأرى الحجيج إذا أرادوا ليلةً ذكراك أخرج فديةً من أحرماً^(٥)

وقد أدرك أربعة من خلفاء بني العباس من المطيع لله الفضل بن المقتدر إلى القائم
بأمر الله عبدالله بن القادر و كذلك أدرك خمسة من الخلفاء الفاطميين من المعزّ لدين الله
معدّ بن المنصور إلي المستنصر بالله معد بن الظاهر^(٦).

نظرة على أهم ميزات شعر المعري

كان المعري مطلعاً على أشعار القدماء ومتطلباً غرائب أشعارهم، والمتنبي الذي كان
من أبرز الأعلام في الشعر العربي قد أعجب به شاعرنا خاصة في الشطر الأول من
حياته الأدبية وقبل أن يعكف على العزلة. وقد ظهر صدى هذا الإعجاب في ديوانه سقط
الزند جلياً، حيث أخذ الشاعر يجري فيه على منهج المتنبي، خاصة في معانيه الحكيمية
وفخرياته. وفي معرض دراسته لشعر المعري، يشير الدكتور شوقي ضيف إلى هذه
القضية قائلاً: «بدأ أبو العلاء حياته الفنية في الشعر بتقليد المتنبي إذ كان يتعصب له تعصباً
شديداً، وسقط الزند خير ما يفسر هذا الطور من تقليده إذ تراه ينظم على طريقة المتنبي
السابقة، فهو يعني بالغريب والشاذ في التراكيب، كما يعتد بالتصنع...»^(٧).

ومن أبرز مظاهر تعصب المعري لأبي الطيب ما حدث له في بغداد مع الشريف
المرتضى، إذ روي أنه قد جرى في بعض مجالس الشريف المرتضى ذكر أبي الطيب
فهضم المرتضى من جانب المتنبي فقال المعري: لو لم يكن له من الشعر إلا قوله: لك يا
منازل في القلوب منازل، لكفاه، فغضب المرتضى وأمر بحبسه وقال للحاضرين أتدرون
ما عني هذا بذكر البيت؟ قالوا: لا، قال: عني به قول المتنبي:

٥ - الحموي، ١٤٠٠: ج٣ ص ١٢٦

٦ - النجار، ١٤١٨: ص ٦٨

٧ - ضيف،؟، ص ٣٨١

وإذا أنتك مذمتي من ناقص
فهي الشهادة لي بأني كامل^(٨)

ومما يدل كذلك على شغف أبي العلاء بأشعار المتنبي أنه شرح ديوانه في كتاب سمّاه «اللامع العزيزي» وقد أهداه إلى الأمير عزيز الدولة، الذي تولى إمارة حلب سنة ثلاث وثلاثين واربعمئة^(٩). ويذكر ابن خلكان أنه لما فرغ من تأليف كتاب «اللامع العزيزي» قرىء عليه فقال: كأنما نظر اليّ بلحظ الغيب حيث يقول:

أنا الذي نظرَ الأعمى إلى أدبي
وأسمعت كلماتي من به صمم^{١٠}

ثم أشار ابن خلكان إلى أنه ألف كتاباً آخر مختصراً في شعر المتنبي سماه «معجز احمد» تكلم فيه عن غريب اشعاره ومعانيه ومأخذه على غيره^(١٠).

أما الخصائص اللفظية لشعر المعري فتتجلى في ثروته اللفظية وبلاغة تراكيبه والأكثر من التكلف والتميق بضروب البديع. وكانت ثروته اللفظية تشتمل على الكثير من الألفاظ الغريبة والتعابير النادرة والمترادفات الكثيرة^(١١).

أصبح اللجوء إلى الصناعة والتكلف ميزة بارزة في عصر المعري وميداناً واسعاً لإظهار المقدرّة الأدبية واللغوية بين الشعراء ولم يكن شاعرنا بمعزل عن هذه النزعة وإنما رافقها وشغف بها وأصبحت طابعاً مميزاً لشعره، وخير مثال على هذا التكلف هو ديوانه المسمى باللزوميات، وعني المعري بالمحسنات البديعية في شعره عناية فائقة وأسرف في التلاعب بالألفاظ والتلميحات التاريخية واستخدام المصطلحات العلمية حيث يقول الدكتور كمال اليازجي عن هذه الظاهرة في شعره: «والذي يظهر لدارس مؤلفات المعري أن عناية المؤلف في الشكل لم تكن أقل منها في الموضوع، بل ربما كانت القيمة في الكثير منها للشكل دون الموضوع، شأن الكثير من رسائله. فمؤلفاته جملة مظهر لسعة اطلاعه اللغوي ومرونته في تقلب الألفاظ والتراكيب ومقدرته في التتميق والتزيين والتجنيس وربما كان العامل الأول في تصنيف عدد من مؤلفاته إبراز هذه المقدرّة والتبجح بسعة العلم»^(١٢).

٨ - حسين، ١٣٨٤ق، ص ١٠٣

٩ - علي محمد، ١٩٩٧م، ص ١٥١

١٠ - ابن خلكان، ص ١١٤

١١ - اليازجي، ١٤١٧، ص ٢٢

١٢ - المرجع السابق

وأكثر المحسنات البديعية في شعر المعري استعمالاً هو التجنيس والطباق والمقابلة والتورية ورد العجز على الصدر، والتجنيس بأنواعه المختلفة أكثرها استعمالاً، حيث يظهر الشاعر في لزومياته شغوفاً به إلى حد الجنون. يقول الدكتور شوقي ضيف في سياق دراسة التصنع في لزوميات الشاعر: «إن أبا العلاء استطاع ان يستخدم هذا الجنس استخداماً مزدوجاً، فهو يأتي به غالباً ليعبر عن جناس من جهة وليعبر عن لفظ غريب من جهة أخرى. كان أبو العلاء يستخدم الجنس استخداماً لغوياً يريد به أن يدل على مهارته في اللغة قبل ان يدل على مهارته في استخدام لون قديم من ألوان التصنيف»^(١٣).

ضاح اكثر مؤلفات المعري والمعروف والمطبوع من آثاره اليوم هو:

- لزوم ما لا يلزم
- سقط الزند
- ضوء السقط
- رسالة الغفران
- ملقي السبيل
- الفصول والغايات
- زجر النابج ومجموعة من الرسائل.

لمحة عن شيوع المصطلحات العلمية في الشعر العباسي

لقد اشدت احتكاك العرب بالثقافات الأجنبية في العصر العباسي ونشطت الحركة العلمية ونهضة الترجمة وحُملت إلى المسلمين قواعد المنطق والعلوم العقلية والفلسفة وظهر في ميدان الأدب شعراء قد تعرفوا إلى الكثير من هذه العلوم والمعارف وتعرضوا لها واستخدموا مصطلحاتها في أشعارهم استخداماً استعارياً وذوقياً، منهم أبو تمام وأبو الفتح البستي والمنتبي والمعري، من ذلك قول أبي تمام يصف الخمر مستخدماً مصطلح الصرف:

خَرَقَاءَ يَلْعَبُ بِالْعُقُولِ حِبَابُهَا كَتَلَعِبِ الْإِفْعَالِ بِالْأَسْمَاءِ^(١٤)
وقوله متمثلاً بألفاظ علم المنطق :

١٣ - ضيف، ٣٩٩:٤

١٤ - ديوان، ١٩٩٤، ص ٢٧

صاعَهم ذو الجلال من جوهر المجد وصاغ الأنام من عَرَضِهِ^(١٥)
ومن هذا القبيل قول أبي الفتح البستي:
وبصير بمعاني الشعـ ر والإعراب جدا
قال لما أن رأني طالبا مالا ورفدا
إن مالي يا حبيبي لازم لا يتعدي^(١٦)
وقوله في موضع آخر:

عُزِلْتُ و لم أذنب ولم أكُ جانباً وهذا لإنصاف الوزير خلافُ
حُدِّفْتُ وغيري مثبتٌ في مكانه كأني نونُ الجمع حين تُضافُ^(١٧)
والمتنبّي أيضا كان يجري على هذا المنوال ويوظف كثيرا من مصطلحات العلوم في شعره و«إنه لم يكد يترك شاذة نحوية إلا وتكلفها في قصائده»^(١٨).
ومن ذلك قوله في قصيدة يمدح بها سيف الدولة الحمداني:

إذا كان ما تنويه فعلاً مضارعاً مَضَى قَبْلَ أن تُلقَى عليه الجوارمُ^(١٩)

أما المعري فقد أكثر من استخدام المصطلحات العلمية في شعره خاصة في ديوانه اللزوميات الذي استخدم فيه شتى المصطلحات العلمية من كيمياء، وفيزياء، و فلک، وجيولوجيا، ورياضة، وطب، و صرف، ونحو، وعروض وقافية... وغيرها. وبما أن المقام يضيق بنا أن نوسع القول في كل هذه المصطلحات فإننا نكتفي منها ببعض المصطلحات الصرفية والنحوية التي ينبسط ظلها على شعره وقبل الخوض في صلب الموضوع نسلط الضوء على موقف النقاد والدارسين من هذه الظاهرة في شعر صاحبنا.

موقف الباحثين من هذه المصطلحات في شعر المعري

الفئة المؤيدة:

من النقاد من يقف موقفا ايجابيا من هذه الظاهرة في شعر المعري باعتبارها عاملا اساسيا في روعة شعر المعري وجماله، منهم طه حسين، ومحمد الشريقي وحماد أبو

١٥ - المرجع السابق، ص ٣٨١

١٦ - ديوان، ١٩٨٩، ص ٧٨

١٧ - المرجع السابق، ص ١٧٦

١٨ - ضيف، ص ٣١٠

١٩ - ديوان، ١٩٩٧، ص ٣٠٢

شاويش. يرى الدكتور طه الحسين أن وجود هذه المصطلحات في لزوميات المعري «يدل على شدة تأثير الدرس اللغوي في ملكته الشعرية»^(٢٠). يبدو في هذه العبارة أن طه حسين يقف موقف المعجب بهذه الظاهرة في شعر المعري ويكشف بصراحة عن موقفه هذا في موضع آخر حيث يقول: «تصرف أبي العلاء باصطلاحات العلم بهذا النحو من التصرف أكسب شعره ظرفاً»^(٢١).

واستحسن محمد الشريقي أيضاً صنيع المعري في هذا المجال وظهر موقفه الإيجابي من هذه المبادرة وذكر: «أنّ أبا العلاء عندما يأخذ باختراع المعاني العامة من المسائل والمصطلحات العلمية والفنية خاصة لا يسخر الشعر للعلم بل يسخر العلم للشعر فهو ليس بالشاعر الفقيه أو اللغوي أو النحوي أو الفلكي بالمعنى المنتقص في الذوق الأدبي بل هو الشاعر الملهم أبداً»^(٢٢).

والدكتور حماد أبو شاويش يتبنى نفس الموقف ويحذ ما وظفه المعري في شعره من مصطلحات العلوم قائلاً: «إن المصطلحات ألفاظ كغيرها من ألفاظ اللغة ومن حق الأديب أن يستعمل منها ما يحتاج إليه ليحدد الفكرة التي يريد التعبير عنها ويوضح التجربة التي انفعّل بها ولا يخفى أن كثيراً من معاني أبي العلاء جاءت جديدة والمعاني الجديدة قد تحتاج إلى لغة جديدة لأدائها أو لتطويع اللغة المستخدمة، وقد استطاع أبو العلاء حقاً أن يستغل مصادر اللغة وثرواتها إلى أقصى درجة ولا نكاد نجد شاعراً في العربية بلغ درجته من توظيف مصادر اللغة في الشعر والنثر»^(٢٣).

الفئة المعارضة:

رغم أن مثل تلك المصطلحات تمثل في رأي بعض النقاد والدارسين ألواناً جديدة لتساوير الشاعر المبدع التي يرسمها في شعره فقد ظهر من النقد من يقف موقفاً سلبياً من هذه الظاهرة باعتبارها مظهراً من مظاهر التصنيع والتعقيد الفني ووسيلة

٢٠ - طه حسين،؟:ص٢٠٥

٢١ - المرجع السابق، ص٢١٠

٢٢ - الشريقي، ١٩٤٥:ص٢٢٢

٢٣ - أبو شاويش، ١٩٨٩، ص٢٤٣

ينتمدها المعري ليثبت براعته اللغوية ومعرفته العلمية. منهم شوقي ضيف وأحمد الشايب. يقول الدكتور شوقي ضيف ناعياً على المعري إسرافه في استخدام هذه المصطلحات: «لا نستطيع أن نفهم هذا التصنع لاصطلاحات النحو والصرف والعروض، وكان يلح في طلبه إلحاحاً شديداً أليس يدل ذلك على أن التفكير الفني لم يعد يدخل فيه شيء طريف وأن الشعراء قد أحسوا إحساساً ما بإجذابهم فانطلقوا يتكلفون في شعرهم هذه الكلف التي لا تفصح عن جمال فني سوى التعقيد الذي يدخله الشعراء من ممرات وأبواب كثيرة»^(٢٤).

يرى هذا الناقد أن المعري هو أول شاعر عربي وسع نطاق توظيف مصطلحات العلوم والفنون في الشعر العربي ويقول: «لعله أول من وسّع استعارة الشعراء لاصطلاحات العلوم والفنون ومن قبله كان المتنبي يتصنع لذلك ولكنه لم يسرف فيه إسراف المعري الذي ذهب يطرز شعره بألفاظ العلوم والفنون بل أننا نراه يدخل مسائلها في آرائه، وكأنه يريد منها الحجة والدليل علي ما يذهب إليه من فكرة أو رأي»^(٢٥).

ويتبنى أحمد الشايب نفس الموقف قائلاً: «أرسي المعري على سابقه في استخدام المصطلحات العلمية واتخاذها أقيسة وبراهين ليس فيها جمال الشعر وإن كان فيها تطرف النحويين والفقهاء»^(٢٦).

والدكتور عثمان موافي يرفض عكوف الشعراء على هذه الرموز والمصطلحات بعامة، إذ إنها — في رأيه — تخل بعنصر التخيل أو الإيحاء الذي هو عماد الشعر ويرى أن «استعمال المصطلحات العلمية والفلسفية يؤدي إلى طغيان عنصر الإقناع على عنصر التخيل ويفسد بذلك التعبير الشعري إذ يجنح به إلى التقرير والدلالة المباشرة، لا إلى الإيحاء والدلالة غير المباشرة»^(٢٧).

٢٤ - ضيف،؟:ص٤٠٥

٢٥ - شوقي ضيف،؟:ص٤٠٣

٢٦ - الشايب، ١٩٤٥، ص٣٨

٢٧ - موافي، ٢٠٠٠، ص٢٢٤

نماذج من المصطلحات الصرفية والنحوية والعروضية في شعر المعري المصطلحات الصرفية

وظف المعري المصطلحات الصرفية والنحوية في شعره توظيفاً إستعارياً، لكنّه أكثر من استخدام الصرفية منها. نبدأ بتحليل المصطلحات الصرفية قبل النحوية والعروضية.

ومن التمثيل بالإعلال قوله:

بتُ كالواو بينَ ياءٍ و كسرٍ لا يلامُ الرجالُ إن أسقطوني^(٢٨)

يصف المعري أحواله بين الناس وصفاً صرفياً ويشبهها بالواو التي وقعت بين الياء والكسر^(٢٩).

يريد الشاعر بهذا البيت أن يشير إلى أن شأنه في الاعتزال عن الناس شأن الواو في مضارع المثال الواوي وأمره ومصدره الذي تحذف منه الواو وتتفصل عن عين الفعل ولامه.

يعتقد أبو العلاء إن الإنسان معذور في غدره وخيانتته، لأنه قد ورث هذه الشيمة من آبائه:

وفي الأصل غشُّ والفروع توابعُ وكيفَ وفاءُ النجلِ والأبُ غادرٌ؟
إذا اعتلت الأفعالُ جاءتْ عَلِيَّةً كَحالاتها أَسْمَاؤُها والمصادرُ
وقُل للغرابِ الجَوْنِ إن كانَ سامعاً أنتِ على تَغْيِيرِ لَوْنِكَ قَادِرٌ؟^(٣٠)

يجعل المعري الصلة بين الأصول والفروع تعليلاً صرفياً فيقول: الأفعال إذا كانت معتلة تبعتها مشتقاتها في الإعلال ولا تستطيع الخلاص منها. وعلى هذه القاعدة تتبع الفروع الأصول.

أما الغرض الذي قصده الشاعر فهو أن الابن يتخلق بأخلاق أبيه، إن كان الأب ذا نفس سليمة سيكون الابن سالماً وإن كان خائناً سيخذوا الابن حذوه. ومنها قوله:

٢٨ - لزوم، ص ٤٧٠

٢٩ - تُحذف الواو التي هي فاء الفعل الثلاثي مفتوح العين في الماضي مكسور العين في المضارع مثل: وَعَدَ ، وَصَفَ ، فَيَجِبُ حَذْفُ هَذِهِ الْوَاوِ فِي الْمَضَارِعِ وَالْأَمْرِ. (النحو الوافي، عباس حسن، ٤: ٦٠٧)

٣٠ - نفسه، ص ٣٤٣

إذا غدوتَ عن الأوطان مُرتحلاً فضاه في البين حذفَ الواوِ في "يعدُّ"
كانت فبانَت وما حنَّت إلي وطنٍ وعادَ غادِ إلي وكرٍ ولم تُعدَّ (٣١)
ينصح الشاعر المخاطب بالعزلة والتشبث بها ويقول: إذا رحلتَ عن وطنك فلا تعد
إليه بل كن كالواو لأنها متى وقعت بين ياء وكسر تحذف لغرض صرفي فلا تعود إليه
أبداً.

في موضع آخر يشبه نفسه بفعل قال في إعتلاله ويقول:

أعلتُ علةً "قال" وهي قديمةٌ أعياء الأظبة كلهم إيراؤها (٣٢)

إنه وظف في هذا البيت قاعدة صرفية للتعبير عن علة إنسانية واستمد من إعتلال قال
وما يشبهها من الأفعال المعتلة وأشار بذلك إلى أنه لا يمكنه أن يبرأ من عاهته وعلته
كما أن الأفعال المعتلة لا تبرأ من الاعتلال ويعني بذلك أن علته قديمة وأن الحياة وما
فيها من الآلام والمصائب قد ثقلت عليه ولا نجاة له منها.

ومنها:

كم تنصَح الدنيا و لا تقبلُ وفائزٌ من جدُّه مُقبلُ
إن أذاها مثلُ أفعالنا ماضٍ وفي الحال مُستقبلُ (٣٣)

يخلق أبو العلاء في البيت الثاني تصويراً رائعاً إذ يشبه أذى الدنيا بأزمنة الأفعال.
ويقول كما ينقسم الفعل إلى الأزمنة الثلاثة (٣٤) كذا يستمر أذى الدنيا دائماً ويشمل الماضي
والحاضر والمستقبل.

ويقول مشبهاً حالات الناس بإعراب الأفعال رفعاً ونصباً وخفضاً وجزماً:

وتُرفعُ أجسادٌ وتُنصبُ مرّةً وتُخفضُ في هذا التراب وتُجزمُ (٣٥)

يصف الشاعر أحوال الناس في النعمة والشقاء وصفاً صرفياً فكما يكون للفعل ثلاث
حالات من الرفع والنصب والجزم، للإنسان حالات مختلفة، كذلك منهم من ينعم في حياته

٣١ - نفسه، ص ٣٠٩

٣٢ - نفسه، ص ٥٦

٣٣ - نفسه، ص ١٧٠

٣٤ - للفعل ثلاثة أقسام: ١- الماضي وهو فعل يدل على امرين: المعنى والزمان الذي فات ٢- مضارع وهو كلمة تدل على امرين
معا: المعنى و الزمن الصالح للحال او الاستقبال ٣- امر وهو كلمة تدل بنفسها على امرين: معنى مطلوب تحقيقه في زمن
مستقبل ولا بد لفعل الامر ان يدل بنفسه مباشرة على الطلب. (النحو الوافي، عباس حسن، ١: ٢٧)

٣٥ - نفسه، ص ٢٦٩

ومنهم من يشقي و يتحمل المصائب حتى يموت ويدفن، وهكذا جعل الشاعر الموت عامل خفض وسكون للإنسان.

وقال في ما يجمع على المؤنث السالم من غير العاقل:

إنَّ الرجالَ إذا لم يَحْمِها رَشَدٌ مثلُ النساءِ عَراها الخُلفُ والخُلفُ
ألا ترى جمعَ ما لا عقلَ يُسِنِّدُه جَمَعَ المؤنثُ^(٣٦) فيه التاءُ والألفُ^(٣٧)

عبى الشاعر بهذا البيت أن الرجل الذي لا يتمتع بالعقل في حياته يشبه المرأة الحمقاء. ولتبرير ما ذهب إليه إعتد على قاعدة صرفية وهي أن جمع المذكر غير العاقل يكون على جمع المؤنث السالم.

وقال متمثلاً بعدم جواز تصغير المصغر:

أردت إهانتني فحماك مني قضاءً فيّ كان له نُجوزُ
وجدتني اللجينَ أو الثريا وتصغيرُ المصغرِ لايجوزُ^(٣٨)

اللجين والثريا كلاهما علي زنة التصغير ولا يجوز تصغير المصغر، فاستمد المعري من هذه القاعدة الصرفية وقال: أراد عدوي تحقيري بتصغير شاني فوجدني كاللجين والثريا لا يجري عليهما التصغير لأنهما علي زنة التصغير والتصغير فيهما للتحبيب أو التعظيم فلا يمكن للشامت أن يحط من شاني .

وقال متمثلاً بعامل الخفض:

لا تدنُون من النساء فإنَّ غِبَّ الأري مرُ
وبالباء مثلُ الباءِ تخـ فِضُ للدناءة أو نُجُرُ^(٣٩)

يقول: إحدروا النساء فإن كان أول القرب منهن حلو كالعسل فعقباه مرُ كالحنظل ثم استعار قاعدة صرفية لإثبات دعواه وإقناع الآخرين وهي تشبيه النساء بالباء الجارة

٣٦ - جمع المؤنث السالم ينقاس في ستة اشياء منها: في وصف مذكر غير عاقل مثل: كلمة جميل في: هذه بساتين جميلات (النحو

الوافي، ١: ١٠٢)

٣٧ - نفسه، ص ٥٠

٣٨ - أحد شروط الأسماء التي يدخلها التصغير هو: ألا يكون الاسم مصغر اللفظ، مثل كميته، دريد، وسويد. (النحو

الوافي، ٤: ٥١٤)

٣٩ - نفسه، ص ٣٩٠

خفضاً ودناءةً. الغرض الذي قصده الشاعر بهذه البيت هو كما «الباء الجارة» يعمل في الإسم ويجره، كذا القرب من النساء يسوق إلي العار والذل.

المصطلحات النحوية

ليست المصطلحات الصرفية هي التي يستمد منها الشاعر فقط، بل يميل إلى النحو ويستعير منه مادته الشعرية ليعبر بها عن معتقداته وآرائه تجاه الحياة.
منها قوله:

سِرُّ سَيُعلنَ والحياةُ مُعارَةً ولتَقْضينَ بها ديونَ المُعسرِ
كخبيءٍ نعمٍ وبئسَ يُخبأُ فيهما ويكون ذلك على اشتراطِ مفسرٍ^(٤٠)

يقول: الحق مكنون في هذه الدنيا، ومتى انقضت الحياة الدنيا يظهر الحق فيكافيء من حرم من أبنائه ثم يفسر عقيدته تفسيراً نحويّاً ويخلق لها تصويراً أدبياً إذ يشبه الحق المكنون بفاعل أفعال المدح والذم، فكما يكون الفاعل^(٤١) في هذه الأفعال مستتراً وجوباً إذا وليها تمييز مفسر كذا يكون الحق مستوراً في هذه الدنيا ويظهر ويطلع عليه الناس متى بادت هذه الدنيا.

يريد أن يقول إن انقضاء هذه الحياة هو القرينة الدالة على الحق المستور فيها كما أن التمييز هو القرينة الدالة على الفاعل المستتر في أفعال المدح والذم.

ويرى المعري أن خير النساء هي من تلازم الخباء:

تَزَوَّجَ إنْ أردتَ فتاةً صدق كمُضمِرٍ نعم، دامَ على الضمير
إذا طَلعَ الأوانسُ لم تَطَّلِع إلى عُرْسٍ تمرُّ ولا أميرٍ^(٤٢)

يقول إنه خير للرجال أن يتزوجوا بالفتيات العفيفات العابدات اللاتي لا يتبرجن ولا يخرجن من بيوتهن إلى الشوارع. وهو يشبه سترهن في الخدر بفاعل أفعال المدح والذم الذي يكون مستتراً دائماً عند تفسيره بالتمييز.

ومنها قوله، مستعينا «كان»:

٤٠ — نفسه، ص ٤٧٣

٤١ — يقتصر فاعل أفعال المدح والذم على أنواع معينة منها: الضمير المستتر وجوباً بشرط ان يكون ملتزماً بالإفراد والتذكير وعانداً على تمييز بعده يفسر ما في هذا الضمير من الغموض والإمام نحو: نعم قوماً العرب اي: نعم القوم قوماً ففي نعم ضمير مستتر وجوباً تقديره هو يعود إلى التمييز (قوما). (النحو الوافي، ٣: ٣٠٠)

٤٢ — نفسه، ص ٤٦٥

ومنها قوله:

عش يا بن آدم عدة الوزن الذي يدعى الطويل ولا تجاوز ذلكا
فإذا بلغت وأربعين ثمانياً فحياةً مثلك أن يوسد هالكاً^(٤٧)

يقول على الانسان أن يقتنع في حياته بثمانية وأربعين عاما وعبر عن هذا المعنى اعتمادا على عدد حروف البحر الطويل لأنه مركب من ثمانى تفاعيل أربع منها مكونة من خمسة أحرف (فعولن×٤) وأربع أخرى مكونة من سبعة أحرف (مفاعيلن×٤) وربما تسميته بالطويل تعود إلى عدد حروفه حيث قيل «سمي طويلا لأنه أطول الشعر وليس في الشعر ما يبلغ حروفه ثمانية وأربعين حرفا في البحور غيره»^(٤٨).

ومنها:

غدوتُ أسيرا في الزمان كأنني عروضُ طويلٍ قبضُها ليس يبسطُ^(٤٩)
يشير إلى أنه وقع أسيرا في يد الزمان ولا يتغير حاله وشأنه في ذلك شأن البحر الطويل الذي عروضه مقبوضة على الدوام والقبض في الطويل هو حذف الخامس الساكن الذي يلزم حذفه في عروض الطويل أي في تفعيلته الأخيرة من الشطر الأول ويصير (مفاعيلن) في عروضه (مفاعلن).

ومنها:

وأكرمني على عيبي رجالٌ كما روي القريضُ على الزحافِ^(٥٠)

يقول إن الناس يكرموني رغم ما فيّ من العيوب كما يروون أشعارا فيها الزحاف ولا يعيبنها على الشاعر وإنما يعتبرونها من الجوازات الشعرية، والزحاف تغيير يطرأ على الحرف الثاني من الأسباب ويكون بتسكين المتحرك أو حذفه أو حذف الساكن ففي مثل متفاعلن يكون بتسكين التاء فتصير متفاعلن وتنتقل إلى مستفعلن أو بحذفها فتصير مفاعلن^(٥١).

٤٧ - لزوم، ص ٢٨٠

٤٨ - الهاشمي، ٤٢، ٢٠٠٦

٤٩ - لزوم، ص ٢٢٧

٥٠ - نفسه، ص ٢٤٣

٥١ - مصطفى، ؟، ٣١

ومنها:

بقائِي الطويلُ وغيي البسيطُ وأصبحتُ مضطرباً كالرجزُ
في الشطر الأول يشير إلى المعنى اللغوي للبحرين الطويل والبسيط ويشكو من أنه قد
عاش حياة طويلة في غباوة منبسطة وفي الشطر الثاني يلمح إلى ما يعانيه من الآلام
والمصاعب مستمداً من حالات بحر الرجز الذي تضطرب تفاعيله ويكثر فيه دخول
الزحافات والعلل.

والشاعر بالإضافة إلى ما مر بنا من الرموز العروضية قد يستخدم مصطلحات القافية
في شعره، منها قوله:

بُعدي عن الإنس بُرءٌ من سقامهم وقُرْبُهُم للحجى والدين إدواءٌ
كالبيت أُفردَ لا إيطاءٌ يدركه ولا سنادٌ ولا في اللفظ إقواءٌ^(٥٢)

يبرر الشاعر ما اختار من حياة العزلة والإنفراد معتقداً بأن الاعتزال عن الناس ينجيه
من شرورهم وأسقامهم فشبه نفسه في انفراده وبعده عن شرور الناس بالبيت المفرد الذي
لا يعتريه الإيطاء ولا السناد ولا الإقواء. هذه المصطلحات الثلاثة من عيوب القافية
والإيطاء هو أن تتكرر القافية في قصيدة واحدة بلفظها ومعناها من غير فاصل أقله سبعة
أبيات والسناد هو اختلاف ما يراعى قبل الروي من حروف وحركات والإقواء هو
اختلاف حركة الروي في قصيدة واحدة كأن يكون الروي في بيت مجزراً وفي آخر
مرفوعاً^(٥٣).

ومن البديهي أن كل هذه العيوب لا تقع في البيت الواحد وكأنما المعري هو هذا البيت
يعيش بمعزل عن شرور الناس وأذاهم.

النتيجة:

نستخلص مما مر بنا أن:

- ١- أبا العلاء قد ألح في توظيف المصطلحات الصرفية والنحوية والعروضية في
شعره إلحاحاً كثيراً وحاول أن يرد كثيراً من أفكاره إلى علل أصحاب الصرف والنحو
والعروض ومصطلحاتهم.

٥٢ - لزوم، ٢٦

٥٣ - الأسمر، ٢٠٥، ص ١٦٤-١٦٥

- ٢- إكثار المعري من استخدام هذه الرموز زاد شعره غموضاً وصعوبة وأفسد بذلك التعبير الشعري إذ طغى عنصري التفكير والإقناع على عنصري التخيل والعاطفة.
- ٣- الشاعر استخدم هذه المصطلحات ليعبر بها عن أفكاره وآرائه من جهة ويثبت معرفته العلمية الواسعة من جهة أخرى وبذلك خلا كلامه من الجمال الشعري وأصبح أقرب إلى النثر منه إلى الشعر.

المصادر:

أولاً: الكتب

- ١- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، (د.ت)، تحقيق د. احسان عباس، الطبعة الثانية، دار صادر، بيروت.
- ٢- أبوتمام، ديوان أبي تمام شرح الخطيب التبريزي، (١٩٩٤م)، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه راجي الأسمر، الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ٣- أبوشاويش، حماد حسن، النقد الأدبي الحديث حول شعر أبي العلاء المعري، (١٩٨٩م)، الطبعة الأولى، دار إحياء العلوم، بيروت.
- ٤- أبو العلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، (٢٠٠١م)، شرح كمال اليازجي، دار الجيل، بيروت.
- ٥- الأسمر، راجي، علم العروض والقافية، (٢٠٠٥م)، دار الجيل، بيروت.
- ٦- البستي، أبو الفتح، ديوان أبي الفتح البستي، (١٩٨٩م)، تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال، مجمع اللغة العربية بدمشق.
- ٧- حسن، عباس، النحو الوافي، (د.ت)، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة.
- ٨- حسين، طه، تجديد ذكرى أبي العلاء، (د.ت)، دار المعارف، القاهرة.
- ٩- حسين، طه، تعريف القدماء بأبي العلاء، (١٣٨٤ق)، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، الدار القومية للطباعة، القاهرة.
- ١٠- الحموي، ياقوت، معجم الأدباء، (١٤٠٠ق)، الجزء الثالث، دار الفكر، بيروت.
- ١١- ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، (د.ت)، الطبعة الثالثة عشرة، دار المعارف، القاهرة.

- ١٢- المتنبّي، أبو الطيّب، ديوان المتنبّي، (١٩٩٧م)، شرحه وضبطه وقدم له على العسيلي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
- ١٣- مصطفى، محمود، أهدى سبيل إلى علمي الخليل العروض والقافية، (د.ت)، دار القلم، بيروت.
- ١٤- موافي، عثمان، في نظرية الأدب، من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم، (٢٠٠٠م)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
- ١٥- الهاشمي، السيد أحمد، ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، (٢٠٠٦م)، ضبطه وعلق عليه علاء الدين عطية، الطبعة الثالثة، مكتبة دار البيروتي، بيروت.
- ١٦- اليازجي، كمال، أبو العلاء ولزومياته، (١٤١٧ق)، دار الجبل، الطبعة الثانية، بيروت.

ثانيا : المقالات

- ١- آينه وند، صادق، ببش در آمدي بر شناخت سبک ادبي أبو العلاء المعري، (٣٧٧ش)، مجلة مدرس علوم انساني، الشتاء، العدد ٩.
- ٢- السعدني، مصطفى، الإسترفاد الشعري في لزوميات المعري بين التأثير والتأثر، (١٤١٨ق)، منشورات ندوة أبي العلاء المعري، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، الجزء الأول، دمشق.
- ٣- الشايب، أحمد، أبو العلاء شاعر أم فيلسوف، (١٩٤٥م)، منشورات المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري، دمشق.
- ٤- الشريقي، محمد، أسلوب المعري ومناهجه، (١٩٤٥م)، منشورات المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري، دمشق.
- ٥- علي محمد، احمد، تأثر المعري في سقط الزند بشعر المتنبّي، (١٩٩٧م)، الجزء الأول، منشورات ندوة أبي العلاء المعري.
- ٦- النجار، عز الدين، المعري حياته ونشأته وثقافته، (١٤١٨ق)، الجزء الأول، منشورات ندوة أبي العلاء المعري.

